

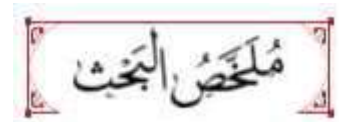
صورة الأم في الأمثال الشعبية الجزائرية

The Image of Mother in Algerian Folk Proverbs

أ.د آية الله عاشوري

جامعة عبد الرحمن ميرة-بجاية (الجزائر)، ayetallah.achouri@univ-bejaia.dz

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الإرسال
2025 / 03 / 15	2025 / 02 / 17	2025 / 01 / 13



يزخر الأدب الشعبي بعدد الأجناس الأدبية، والأمثال الشعبية من جملتها، إنها خلاصة لتجارب إنسانية طويلة، ومن ثمّة فهي ألصق بالحياة الشعبية، وأصدق أشكال التعبير في تصوير حياة الأفراد في سائر مناحي حياتهم؛ وتبيان أنواع العلاقات القائمة بينهم، إنها بحق صفوة الأقوال، وزبدة الكلام، وعصارة الأفكار، ونتيجة التجارب، ومرآة للأحوال المعيشة.

تناولت الأمثال الشعبية الجزائرية عديد القضايا، ورصدت مختلف التقاليد والأعراف السائدة في المجتمع، وصورة "الأم" من تلك المواضيع التي عرضتها الأمثال الشعبية في أحسن عرض وأبلغ تصوير. نحاول من خلال هذه الورقة تجلية الصورة التي رسمتها الأمثال الشعبية الجزائرية للأم، وكشف تمثلاتها لها، وهي التي تراوحت بين الترغيب في برّها والترهيب من عقوقها.

الكلمات المفتاحية: الأدب الشعبي الجزائري، المثل الشعبي الجزائري، الأم، البرّ، العقوق.



Popular literature is rich with various literary forms, and proverbs are among them. They are a distilled essence of long human experiences, making them deeply connected to popular life. Proverbs are among the most authentic forms of expression in depicting the lives of individuals in all aspects of their existence and reflecting the types of relationships between them. They truly represent the finest words, the cream of speech, the essence of ideas, the result of experiences, and a mirror of everyday life.

Algerian proverbs have addressed numerous issues, documenting various customs and traditions prevalent in society. The image of the "mother" is one of the topics that these proverbs have presented in the best and most eloquent way.

This paper aims to shed light on the portrayal of the mother in Algerian popular proverbs and to explore the representations of her, which range from encouraging respect and honoring mothers to warning against disrespect and disobedience.

Keywords: Algerian folk literature, Algerian popular proverbs, Mother, Respect, Disobedience.

1. مقدمة:

الأمثال الشعبية أقوال جادت بها قرائح جبلت على حسن انتقاء الألفاظ، وبراعة صياغة المعاني، لفظها قليل، ومعناها جليل، تحمل رسائل توجيهية وتعليمية قصد تقويم التصرفات، وضبط السلوكيات.

إن المتأمل في الأمثال الشعبية، والمدقق في دلالاتها يتضح له جليا دقة وصفها لصورة "الأم" وحسن تناولها لذلك بما يتماهى وتعاليم الدين الإسلامي الحنيف الذي أمر بطاعة الأم وحسن صحبتها، وشدد على من عقها بأن توعدّه بالخسران في الدارين.

2. ماهية الأمثال الشعبية:

1.2 لغة:

المثل عند ابن منظور هو: «الشيء الذي يضرب لشيء مثلا فيجعل مثله...»¹

ويقول الميداني: «أربعة أحرف سمع فيها، فِعْلٌ و فَعْلٌ؛ وهي مثل مثل؛ وشِبْه وشَبَه؛ وِبْدَلٌ وِبْدَلٌ؛ ونكَل ونكَل، فمثل الشيء ومثله شِبْهُ وشَبْهُ، ما يماثله ويشابهه قدرا وصفة، فالمثل ما يمثل به الشيء: أي يشبهه ... غير أن المثل لا يوضع في موضع هذا المثل؛ وإن كان المثل يوضع موضعه... فصار المثل اسما مصرحا لهذا الذي يضرب ثم يرد إلى أصله الذي كان له من الصفة؛ فيقال: مثلك ومثل فلان؛ أي صفتك وصفته؛ ومنه قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾² أي صفتها؛ ولشدة امتزاج معنى الصفة به صح أن يقال: جعلت زيدا مثلا؛ والقوم أمثالا؛ ومنه قوله تعالى: ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ﴾³ جعل القوم أنفسهم مثلا في أحد القولين. والله أعلم»⁴

2.2 اصطلاحا:

الأمثال فنّ من الفنون الأدبيّة الشّعبيّة، قد ألمّت بكل جوانب الحياة من حب وكرهية ومعاملة وأخلاق وغير ذلك مما يتعلّق بالحياة وينبع عنها ويصب فيها؛ فمجالها واسع، ونطاقها شاسع؛ وبها يعرف أخلاق الشعب، وتعلّم نظرتة للحياة بناء على معتقداته، عاداته وتقاليده وتفكيره.

يعرفها أحمد أمين قائلا: «الأمثال نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ وحسن المعنى ولطف التشبيه وجودة الكناية؛ ولا تكاد تخلو منها أمة من الأمم، ومزية الأمثال أنها تنبع من كل طبقات الشعب، وليست في ذلك كالشعر والنثر الفني؛ فإنهما لا ينبعان إلا من الطبقة الأرستقراطية في الأدب. وأمثال كل أمة مصدر هام جدا للمؤرخ الأخلاقي والاجتماعي؛ يستطيع كل منهما أن يعرف كثيرا من أخلاق الأمة وعاداتها وعقليتها ونظرتها إلى الحياة؛ لأن الأمثال عادة وليدة البيئة التي نشأت عنها»⁵

يعد المثل من ألطف الأشكال التعبيرية، وأسيرها بين الناس على اختلاف ألوانهم وأعراقهم ومستوياتهم؛ وذلك لوقعه الحسن على الأسماع، وقربه إلى الأفهام؛ وسحر تأثيره على النفوس، صاغه إنسان جُبلت قريحته على صناعة الألفاظ وبراعة التصوير بما أوتيته من الحكمة، فاستحسنه الناس وتداولوه حتى شاع بينهم وذاع.

يقول أحمد رشدي صالح: «إن المثل هو هذا الأسلوب البلاغي القصير الذائع بالرواية الشفاهية المبين لقاعدة الذوق أو السلوك أو الرأي الشعبي؛ ولا ضرورة لأن تكون عباراته تامة التركيب بحيث يمكن أن نطوي في رحابه التشبيهات والاستعارات والكنيات التقليدية»⁶

أما الأستاذ قادة بوتارن فيعرفها في مقدمة كتابه (الأمثال الشعبية الجزائرية): «إنها جواهر قد حفظت من التلّف باندساسها في ذاكرة الأجيال المتتالية؛ وهي كنز ثقافي ذو قيمة كبيرة تتراءى فيها الملامح الخاصة بكل قوم؛ وذلك لأنها وليدة لظروف معينة؛ وبالتالي وليدة التاريخ والجغرافية والمناخ والتربية... إن خاصيتها الأساسية هي الإيجاز؛ فهي قليلة اللفظ كثيرة المعاني، وهي تحتوي على نمط من الأخلاق وعلى فلسفة بل على فنّ الحياة، فإنها تعبّر عما تكنّه الشعوب في أعماق أنفسهم، ولذلك يكاد يعرف قائلوها من بين هذه الشعوب بمجرد الإطلاع على مضمونها وأسلوبها وطريقة التفكير فيها»⁷

الأمثال فنّ من الفنون الأدبية، قد أمت بكل جوانب الحياة، بها تعلم نظرة الشعب للحياة بناء على معتقداته، عاداته، أعرافه، تقاليد، منطلقات تفكيره ومرجعياته الثقافية، تحيلنا معانيها إلى الوسط الذي قيلت فيه، لأنها صورة تعكس الواقع، وتصوّره بدقة، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على التصاقها بالحياة المجتمعية ورصد ما تحتويه من ممارسات وسلوكيات.

3. تمثلات صورة الأم في الأمثال الشعبية الجزائرية:

1.3 فضل برّ الأم:

يتمثل الجزائريون بقولهم: **مَنْ طاع الوالدين نال الدّنيا والدّين. (طاع: أطاع).**

لقد أمر الله بطاعة الوالدين وبرّهما، بل وشدّد على ذلك، فالمؤمن الكيس من بر والديه، والفظن من تبصّر الخير في حسن معاملتهما، و الرّشيد من أحسن صحبتهما، والمجتمع الجزائري بخلفيته العقدية ومرجعياته الثقافية -وهو الذي نهل ثقافته من صفوة تعاليم الإسلام السّمحة- يشدّد على أمر البرّ بالوالدين والإحسان إليهما، فمن حقّق برّهما تحقّق له خيري الدّنيا والدّين، فنال رضا الله تعالى، وفتحت له أبواب البركة، وأقر الله عينيه بكل ما يرضى، هذا في العاجلة، أما في الآجلة فروح وريحان وجنة نعيم تجري من تحتها الأنهار خالدا فيها، لأن الإنسان إذا أحسن إلى والديه فمعناه أنه ائتمر بأمر الله عز وجل طاعة وخضوعا، ومن أطاع الله فقد فاز فوزا عظيما.

يقول أحمد عيسى عاشور: «إذا نظر الإنسان إلى ما تعانيه الأم، وتقاسيه، من ألم الحمل والوضع، وما تتحمله من المشقة والعناء في تربية ولدها، والمحافظة عليه، والقيام بشؤونه صغيراً، والعطف عليه كبيراً، وما يلاقيه الوالد كذلك من الكد، والكدح والسعي عليه، قياماً بواجب الرعاية والحفظ، والإنفاق والتعليم، لاشك أن ذلك المجهود، من كل من الأبوين، يدعو الولد إلى البر، بل يوجب المبالغة، في البر والإحسان والإكرام والصلة»⁸

فبرّ الوالدين من طاعة الله عز وجل، حيث قرنه بتوحيده وعبادته، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14)﴾ (سورة لقمان، الآية:14).

قال الحسن البصري: حق الوالد أعظم وبر الوالدة ألزم.⁹

من أبواب برّ الوالدين خفض جناح الذلّ لهما؛ خاصة عند الكبر حال ضعفهما، وحن معاملتهما بالقول الطيب والعمل الحسن، ابتغاء نيل رضی الله عزّوجلّ الذي أمر بالإحسان إليهما.

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (24)﴾ (سورة الإسراء، الآيتان:23 و24).

البرّ واجب على الأبناء، وحقّ ثابت للوالدين، إلا أنّ الأم تستحقّ الحظّ الأوفر، فأحقّ النَّاس بالصّحبة الأمّ ثم الأمّ ثم الأب، فهي من حملت تسعة أشهر عدّاً فصبرت، ثم وضعت وتحملت الأمّ الوضع، ثم أرضعت حولين كاملين من لبنها، ثم ربّت وسهرت، ولم تكّل ولم تملّ أبداً، بل فرحتها تكبر مع تقدّم ابنها في العمر، وكلّها أمل في أن يشبع ابنها ويرتوي ويلبس، مقدّمة راحته على حساب شقائها وتعبها، فقلبيها الصّافي المعمور بالحنان عنوان تضحيتها ودليل على سخاء عطائها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله من أحقّ النَّاس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «أبوك» متفق عليه. في رواية: يا رسول الله من أحقّ النَّاس بحسن الصّحبة؟ قال: «أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبالك، ثم أدناك أدناك»¹⁰

يعدّ برّ الأمّ من أعظم الفضائل وأسمى القيم، إذ أنها بذلت أقصى جهدها في تربية أبنائها وقدمت لهم العناية والرّعاية عبر مختلف مراحل الحياة، فهي الحاضنة والمربيّة والموجهة، وتظل دائماً الشّخص الذي يمكن أن يعود إليه الفرد في أوقات الحاجة والدّعم، ولهذا فإنّ البرّ بها يعتبر من واجبات الأبناء اتجاهاً، بل من أوجب الواجبات وأوكدها.

2.3 وجود الأم مدعاة للخير:

يتمثل الجزائريون بقولهم: **اللّي عندو يمّاه في البيت، يرضى بالخبز والزيت.** (اللّي: الذي، عندو: عنده، يمّاه: أمه)

فالخير كل الخير في بيت فيه أم، فوجودها مدعاة للبركة، ونور يستضاء به، إنها القلب الذي يسع الجميع، والروح السّخية والنّفس الرّكّية، فلو وزنت بنعم الدنيا كلها لوزنتها، فمن رام الجنة فليزمل رجلها.

في المثل الشعبي الجزائري: **اللّي عنده امّه لا ترفد همّه.** (اللّي: الذي، مّه: أمه، لا ترفد: لا تحمل).

الأم هي منبع الحنان ومثال العطف، تراها حريصة على راحة أبنائها، دافعة عنهم الهموم والغموم، تضحياتها بلسم لجراحاتهم، فهي السّند والدّعم لهم بغية تحقيق آمالهم وتجاوز آلامهم.

تمثل الأم مصدر الأمان والدّعم العاطفي لأطفالها، وتقوم بدور أساسي في تشكيل شخصياتهم وتوجيههم نحو النجاح والتميز.

3.3 فقدان الأم مدعاة للهمّ والغمّ:

في المثل الشعبي الجزائري: **اللّي خطّاتو امّه، حجره تسدّ فمّه.** (اللّي: الذي، خطّاتو: غابت عنه، امّه: أمه، حجره: حجرة، فمّه: فمه).

من ماتت أمّه خرس لسانه وانكسر قلبه، فمن ذا الذي يسمعه إذا شكّا، ومن يمسح دمه إذا بكى، ومن ذا الذي يحمل عنه الهمّ، ويسلّيه حال حزنه، من غير الأمّ يكون سندا ومعتمدا، فإذا رحلت رحل معها الخير، وارتحلت البركة، كيف لا وبموتها تغلق باب من أبواب السّماء، وهي التي كانت تناجي ربها سرّاً وجهارا ليلا ونهارا بالدعاء -ودعاء الأم مستجاب- من أجل أن يحفظ أبنائها ويفتح عليهم أبواب الخير.

وقريب من ذلك المثل الشعبي الجزائري: **اللّي ما عنده أمّ، حاله يغمّ.**

فقدان الأم من أصعب ما يواجهه الإنسان، كيف لا وقد فقد الحبّ والدّعم والرّعاية، ليحسّ حينها بالفراغ الذي لا يمكن لأيّ كان أن يملأه، فلا يوجد على وجه البسيطة من هو أحنّ ولا أرأف من الأمّهات.

وفي المثل الشعبي الجزائري: **إذا مات الأب وسّد الركب، وإذا ماتت الأمّ وسّد العتبه.** (وسّد: توسد، الركب: يقصد بها هنا الأم، العتبه: مدخل البيت).

عن فضل الأمّ، يقول العلامة ابن عثيمين رحمة الله تعالى عليه: «أحقّ الناس بحسن صحبة الإنسان: فبين النبي صلى الله عليه وسلّم أن أحقّ النَّاسِ بذلك الأمّ، فأعيد عليه السؤال فقال: "أمك" مرة ثانية، كرر ذلك ثلاث مرات، ثم بعد ذلك الأب، لأنّ الأمّ حصل عليها من العناء والمشقّة للولد ما لم يحصل لغيرها،

حملته أمه وهنا على وهن، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ (سورة الأحقاف، الآية:15)، وفي الليل تمهده وتهدئه حتى ينام، وإذا أتاه ما يؤلمه لم تنم تلك الليلة حتى ينام. ثم إنها تفديه بنفسها بالتدفئة عند البرد، والتبريد عند الحر وغير ذلك، فهي أشد عناية من الأب بالطفل، ولذلك كان حقها مضاعفا ثلاث مرات على حق الأب، ثم إنها ضعيفة أنثى لا تأخذ بحقها، فلهذا أوصى بها النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات، وأوصى بالأب مرة واحدة، وفي ذلك الحث على أن يحسن الإنسان صحبة أمه، وصحبة أبيه أيضا بقدر المستطاع.¹¹

ولله درّ الشيخ عبد الرحمان المجذوب إذ يقول:

ما كان كالحـرث تجـارـه ما كان كالشـر خـسـاره
ما كان كالشـر خـسـاره ما كان كالدين، طليب¹²

تمتاز الأم بالكثير من المناقب التي تبرز عظم مكانتها في الدين والمجتمع، فهي مصدر للحب، والرعاية، والتضحية، مما يستوجب حسن صحبتها، والإحسان إليها.

ذكر عبد الرؤوف الحناوي بعض مناقب الأمّ -وأثى له أن يعدها-، فقال: «أما الوالدة فقد حملتك في بطنها تسعة أشهر، تزيدها بنموك ضعفا، وتحملها فوق طاقتها عناء، وهي الضعيفة الجسم، الواهنة القوة. ثم أخرجتك، فيئست في خروجك من حياتها، فلما بصرت بك إلى جانبها نسيت آلامها، وعلقت فيك آمالها، ورأت فيك بهجة الحياة وزينتها، ثم انصرفت إلى خدمتك ليلها ونهارها، تغذيك بصحّتها وتنميك بهزلها، وتقويك بضعفها، تخاف عليك رقة النسيم وطنين الذباب، وتؤثرك على نفسها بالغذاء والراحة. ولما تم فصالك في عامين وبدأت بالمشي، أخذت تحيطك بعنايتها، وتتبعك نظراتها، وتسعى وراءك خوفا عليك، وبقيت ترعاك وتحنو عليك حتى آخر لحظاتها من الدنيا. ومن هنا قدّمها الله تعالى في الطاعة على أبيك، ووصاك بها الرسول صلى الله عليه وسلم بأكثر مما وصى بأبيك.»¹³

وذلك ما بيّنه ابن حجر العسقلاني في قوله: «للأم ثلاث أمثال ما للأب من البر، وذلك لصعوبة الحمل والوضع والرّضاع، فهذه تنفرد بها الأم وتشفى بها، ثم تشارك الأب في التربية، والوالد لم يتحمل ما تحمّلته الأم، فضمّه إلى البرّ لا لتسببه في إيجاده ومحبته والشفقة عليه والإنفاق.»¹⁴

4.3 عقوق الأمّ:

يقول المثل الشعبي الجزائري بلهجة شديدة، وبصيغة دعاء باللعنة على من عقّ والديه، مفاده إقرار خروج ذلك اللّئيم من رحمة الله تعالى التي وسعت كلّ شيء: لعنة الله على من عصى أباه ويمّاه. (باباه: أبوه، يمّاه: أمه).

فاللعنة ملازمة لمن عقّ والديه في الدّنيا والآخرة؛ وكفى بالعاقّ عقابا طرده من رحمة الله التي وسعت كلّ شيء، وحرمانه من جنة عرضها السّموات والأرض.

فالله الله في الأمهات، فكم منهن من زجّ به إلى دور العجزة، بعدما وهنت قوّتها وضعفت، فتخلى عنها من كانت بالأمس تكّد من أجل راحته، ومنهم من يتمنى موتها، وهي التي كانت تؤمل حياته، وترجو العمر المديد له ... وكان لسان حال الأمّ يتمثل قائلاً: **يجي ليك يوم يا ناكر خيري، يوريك زماي من زمان غيري.** (يجي ليك: يأتي عليك، يوري: يظهر لك).

فالتاغي الباغي العاق لأمه، تجده ينهرها في الصباح، وينجرها في المساء، فليعلم علم اليقين أن كلّ شيء يذهب إلا ويُعوّض، إلا الوالدين، فالزوجة تخلفها زوجة، والولد يخلفه الولد، والمال يعوض بالمال، وإذا ماتت الأم من أين تأتي بأم؟! إذا مات الوالد من أين لك بوالد تبهه، فيأتيك الثّواب؟! وما ندم النادمون إلا بعد فوات الأوان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رغم أنف، ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما أو كلاهما، فلم يدخل الجنة.»¹⁵ رواه مسلم.

وعن أبي بكره نفيح بن الحارث رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثاً». قلنا: بلى يا رسول، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين» وكان متكئاً فجلس، فقال: «ألا قول الزور وشهادة الزور» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت. متفق عليه.¹⁶

يقول الحريمي النّجدي: «الدّنوب: فيها صغائر وكبائر. فالكبيرة: ما توعدّ صاحبها بغضب أو لعنة أو نار.

قوله: (وكان متكئاً فجلس، فقال: "ألا وقول الزور وشهادة الزور"). سبب الاهتمام به، سهولة وقوع النّاس فيه، وتهاونهم به، والحوامل عليه كثيرة من العداوة والحسد وغير ذلك؛ ولأنّ مفسدته متعدية إلى الغير.

وأما الشرك فإنه ينبو عنه القلب السّليم، والعقوق يصرف عنه الطبع. وقوله: (حتى قلنا: ليته يسكت) ، أي: شفقة عليه.¹⁷

عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُنبئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ.»¹⁸

وعن عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النّفس، واليمين الغموس» رواه البخاري.¹⁹

الأم هي الأرض الدّليّة، والسّماء الظّليّة؛ أحقّ النّاس بالصّحبة، فضلها معلوم، وكرمها بيّن، فقد حملت ووضعت وأرضعت وسهرت وربّت، حجرها مهد، وقلبها رقد، فوالله لو خيّرت بين حياة ولدها وموتها؛

لصاحت بأعلى صوتها جهارا بطلب حياته، هذا ومن الناس من يعقّ أمّه ويسيء إليها، فوالله قد خاب من كان ذا فعله وخسر الدارين، وكان في زمرة أشقى الفريقين، قد نال سخط الله.

يقول البيهقي: «وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ كَبِيرَةٌ فَإِنْ كَانَ مَعَ الْعُقُوقِ سَبٌّ أَوْ شَتْمٌ أَوْ ضَرْبٌ فَهُوَ فَاحِشَةٌ، وَإِنْ كَانَ الْعُقُوقُ بِالِاسْتِنْقَالِ لِأَمْرِهِمَا وَتَهْنِئَتِهِمَا وَالْعُبُوسِ فِي وُجُوهِهِمَا، وَالتَّبَرُّمِ بِهِمَا مَعَ بَدَلِ الطَّاعَةِ وَلُزُومِ الصَّمْتِ فَهَذَا مِنَ الصَّغَائِرِ، فَإِنْ كَانَ مَا يَأْتِيهِ مِنْ ذَلِكَ يُلْجِئُهُمَا إِلَى أَنْ يَنْقَبِضَا عَنْهُ فَلَا يَأْمُرَانِهِ، وَلَا يَنْهَيَانِهِ، وَيَلْحَقُهُمَا مِنْ ذَلِكَ ضَرْزٌ فَهَذَا كَبِيرَةٌ.»²⁰

يمشي العاقّ لوالديه وهو يجر أذيال السّخط من الله سبحانه، في طريق مظلم محفوف بالعذاب، حياته ملؤها الأحزان والأشجان، تحفه الهموم والغموم من كل جانب، ينادي فلا مجيب، ويستغيث ولا مغيث، لذلك وجب الابتعاد عنه، وعدم مصاحبته، لأن الخير فيمن أطاع الله ورسوله، وأحسن إلى والديه، وبهذا يتمثل الجزائريون: اللّي ما رضى يمّاه، لا خير فيه ترجاه. (اللّي: الذي، يمّاه: أمه، ترجاه: تأمله).

والجزائريون يتمثلون بقولهم: اللّي عصى يمّاه، كل شرّ يلقاه. (اللّي: الذي، يمّاه: أمه).

من عقّ أمه عجل الله له العذاب في الدّنيا قبل القيامة، وابتلي بكل أنواع الهموم والغموم، وشقي في حياته، وحرّم الخير، وورغم أنفه، وذل وهان، فالجزاء من جنس العمل، ولا يظلم الله أحدا.

فالعاق لئيم النفس، فاسد الطّبع، لا خير فيه ولا منه، فهو أبعد عن الشّرف ما بعدت السّماء عن الأرض، تجارته كاسدة، وأخلاقه فاسدة، كيف لا وقد خان أقرب النّاس إليه وضيّع حقوقهما؛ فأف له خاب وخسر، ومنع الخير كلّ، بل واستؤصل من جذوره.

أما المثل الشعبي الجزائري: قلبي على وليدي انفطر، وقلب وليدي عليّ كالحجر (وليدي: ولدي)

ذاك لسان حال كل أمّ تحمّلت الصّعب بغية تذليل حياة ولدها، ونالها التعب والوصب من أجل راحته، ليتقطع قلبها عليه إذ قابل إحسانها بالجحود والنكران، ومن كان ذا فعله مع أمه فقد خاب وخسر.

ومن الدّرر السنيّة التي لا بد أن يعمل بمقتضاها كل عاقل، موعظة الدّهي القائل فيها: «أبها المضيع لاكد الحقوق، المعتاض من بر الوالدين العقوق، النَّابِي لما يجب عليّ، الغافل عمّا بين يديّ، بر الوالدين عليّ دين، وأنت تتعاطاه باتّباع الشّين، تطلب الجنّة بزعمك وهي تحت أقدام أمك، حملتك في بطنها تسعة أشهر كأنّها تسع حجج، وكابدت عند الوضغ ما يذيب المهج، وأرضعتك من ثديها لبنًا، وأطارت لأجلك وسنا، وغسلت بيمينها عنك الأذى، وآثرتك على نفسها بالغذاء، وصيرت حجرها لك مهديًا، وأنالتك إحسانًا ورفدًا، فإن أصابك مرض أو شكاية أظهرت من الأسف فوق التّهيّة، وأطالت الحزن والنحيب، وبذلت مالها للطبيب، ولو خيرت بين حياتك وموتها، لطلبت حياتك بأعلى صوتها، هذا وكم عاملتها بسوء الخلق مرارًا، فدعت لك بالتوفيق سرًا وجهارًا، فلمّا احتاجت عند الكبر إليك، جعلتها من أهون الأشياء عليّك، فشبع وتبي جانعة.

ورويت وهي قانعة، وقدمت عليهما أهلك وأولادك بالإحسان، وقابلت أيديها بالنسيان، وصعب لديك أمرها وهو يسير، وطال عليك عمرها وهو قصير، هجرتها ومالها سواك نصير، هذا ومولاك قد نهك عن التأفف وعاتبك في حقها بعتاب لطيف، ستعاقب في دنياك بعقوب البين وفي أخراك بالبعد من رب العالمين، يناديك بلسان التوبيخ والتهديد ذلك بما قدمت يدك، وأن الله ليس بظلام للعبيد»²¹

4. خاتمة:

تعد الأمثال السجل الثقافي؛ والمنظومة الفكرية؛ والإرث العريق؛ والكنز النفيس، فلكل شعب أمثاله التي يفخر بها؛ وهذا ما نلمسه في الثقافة الشعبية الجزائرية التي تزخر بثروة من الأمثال التي تعد معلما فكريا وثقافيا وحضاريا.

الأمثال وإن صغر حجمها، وقلت ألفاظها، إلا أنها تحوي بين جنباتها معان كثيفة، وحكما جليلة، لمواضيع عديدة، فهي البحر في أحشائه الدرّ يقتنيه كل من غاص في عمق دلالاتها، ومن تلك المواضيع التي حوتها الأمثال في أحسن عرض وأبلغ تصوير، موضوع الأم ذلك القلب الطاهر والنفس الزكية والروح السنية، من حملت في بطنها تسعة أشهر عدا ذلك الجنين فغذته من دمها، لتضعه بعد مشقة الحمل، وعناء الوضع، مصيرة حجرها له مهدا، وهي التي أنالته إحسانا ورفدا.

إن صورة الأم وعظيم مكانتها في الثقافة الجزائرية عامة والأمثال الشعبية خاصة مستوحاة من تعاليم الدين الإسلامي السمح، ولا غرابة في ذلك باعتبار صفاء عقيدة الجزائريين ونقاها من كل شائبة، وكذا تعظيمهم للأم وإنزالها المقام الذي يليق بها، فمن ابتغى خيري الدنيا والآخرة فليلزم قديمي أمه فثمة الجنة، وليبرها امتثالا لأمر الله تعالى، وإلا خاب وخسر الدارين.

إن طاعة الأم وبرها فرض على كل مسلم اتقى الله جل وعلا وخشيه، ومن رام رضا الله عز وجل برها وأحسن إليها، فطاعتها واجبة، بل من تمام صلاح المرء أن يحسن معاملتها، ولذلك وجب على كل إنسان أن يخفف لها جناح الدل من الرحمة، وهي التي أحسنت إلى الأبناء، وتعبت من أجل راحتهم، وجاعت من أجل شعبهم، وعطشت من أجل ترويتهم، وتعرّت من أجل كسوتهم، ففضلها سابق، وإنعامها ثابت، لا ينكره إلا من عميت بصيرته فزلّ وضلّ.

على كل إنسان أن يعامل أمه المعاملة الحسنة، ويصاحبها في الدنيا معروفا وإحسانا، ويغمرها بالرحمة خاصة إذا بلغت الكبر، إنها بحق الإكليل النفيس، والنعمة التي يجب أن تصان فتقدر قدرها وتعلم قيمتها، فمن رام العز والمجد أكرمها.

الهوامش

- 1 ابن منظور، لسان العرب، مج11، ص 611.
- 2 قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (35)﴾ [الرعد:35]
- وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمِيمٍ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (15)﴾ [محمد:15]
- 3 قال تعالى: ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (177)﴾ [الأعراف:177]
- 4 الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص70 وما بعدها.
- 5 أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعبير المصرية، ج1، ص61.
- 6 أحمد رشدي صالح، فنون الأدب الشعبي، ص6.
- 7 قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص5.
- 8 أحمد عيسى عاشور، بر الوالدين وحقوق الآباء والأبناء والأرحام، ص24.
- 9 الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص127.
- 10 النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 321، ص118 وما بعدها.
- 11 محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ج1، ص699 وما بعدها.
- 12 نور الدين عبد القادر، القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمان المجذوب، ص52.
- 13 عبد الرؤوف الحناوي، مختصر بر الوالدين، ص55.
- 14 كايد قرعوش وآخرون، الأخلاق في الإسلام، ص245.
- 15 النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 322، ص119.
- 16 المرجع نفسه، الحديث رقم 341، ص123 وما بعدها.
- 17 الحريملي النجدي، تطوير رياض الصالحين، ص233.
- 18 الحسين بن حرب، البر والصلة، ص51.
- 19 النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم 342، ص124.
- 20 البيهقي، شعب الإيمان، ج10، ص454.
- 21 الذهبي، الكباثر، ص44.

المصادر والمراجع

- * القرآن الكريم (رواية حفص)
- 1- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري)، لسان العرب، دار صادر، بيروت - لبنان، ط1، 1410هـ/1990م.
 - 2- أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعبير المصرية، لجنة التأليف والترجمة، د.ط، 1953م.
 - 3- أحمد رشدي صالح، فنون الأدب الشعبي، دار المعارف، القاهرة - مصر، د.ط، 1954م.
 - 4- أحمد عيسى عاشور، بر الوالدين وحقوق الآباء والأبناء والأرحام، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 1985م.
 - 5- البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجْردي الخراساني)، شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخرجه أحاديثه مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط1، 1423هـ/2003م.

- 6- الحريملي النجدي (فيصل بن عبد العزيز بن فيصل بن حمد المبارك)، تطريز رياض الصالحين، تحقيق د. عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1423هـ/2002م.
- 7- الحسين بن حرب (أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن حرب السلمي المروزي)، البر والصلة، تحقيق: د. محمد سعيد بخاري، دار الوطن، الرياض، ط1، 1419هـ.
- 8- الذهبي (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز)، الكبائر، دار الندوة الجديدة، بيروت، د.ط، د.ت.
- 9- عبد الرؤوف الحناوي، مختصر بر الوالدين، دار الحرمين للطباعة، القاهرة، ط2، 1415هـ.
- 10- قادة بوتارن، الأمثال الشعبية الجزائرية، تر: عبد الرحمن حاج صالح، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1987م.
- 11- كايد قرعوش وآخرون، الأخلاق في الإسلام، دار المناهج للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.
- 12- الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي)، أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، د.ط، 1986م.
- 13- محمد بن صالح العثيمين وآخرون، شرح رياض الصالحين، ملخص تحقيقات الحافظ بن حجر والهيثمي والشيخين الألباني والأرناؤوط، مركز التراث الإسلامي، القاهرة، ط1، 1425هـ/2004م.
- 14- الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد)، مجمع الأمثال، تح: جان عبد الله توما، دار صادر، بيروت - لبنان، ط1، 1422هـ/2002م.
- 15- نور الدين عبد القادر، القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمان المجذوب، المطبعة الشعلبية، الجزائر، د.ط، د.ت.
- 16- النووي (أبو زكرياء يحيى بن شرف)، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، محقق على منهج العلامة محمد ناصر الدين الألباني، مشتملة على تعليقات الشيخ محمد بن صالح العثيمين، حققه وعلق عليه محمود بن الجميل، راجعه طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الصفا، القاهرة، ط2، 1425هـ/2004م.